كتاب وقائع المحفل العلمي الدولي العاشر

ALMAHFAL Proceedings

23-27 مايو 2022م

Two terms (dictionary and lexicon) between the two languages (Arabic and English)

Almabrouk Khayr Saed Khayr

Lecturer, Department of Audiology and Speech, College of Medical Technology, University of Sabratha

مصطلحا (القاموس، والمعجم) بين اللُّغتين (العربيّة، والإنجليزيّة)

المبروك خير سعد خير

المحاضر بقسم السمع والنطق–كـلـيـّة التقنية الطبيّة–جـامعة صبراتة

mabrouk.khair@sabu.edu.ly
arid.my/0007-4833
https://doi.org/10.36772/isf10.12

ARTICLE INFO
Article history:
Received 19/07/2022
Received in revised form 15/08/2022
Accepted 6/09/2022
Avalable online 1/10/2022
https://doi.org/10.36772/isf10.12

Abstract

Research in (Linguistics) is still a continuous matter since the Middle Ages until its development in the Renaissance, and then the scope of its research quickly expanded until it included the contrastive analysis according to which this study came to search for the precise (**linguistic and idiomatic**) meaning of the terms (**dictionary and lexicon**) in the two languages (**Arabic and English**), the difference between them, the date of their appearance and their use in the Arabic language, and the corresponding words in the English language, with the introduction of the pioneers of this industry, which began among the Arabs at the hands of Sheikh (**Al-Khalil Ibn Ahmed Al-Farahidi 718-786 AD**) when he authored the book (Al Ain) in 2nd century AH / the 8th century AD, and it began with the English people at the hands of Dr. (**Samuel Johnson 1709-1784 AD**) when he authored the first English dictionary in 1755 and then developed through the ages, as this industry is considered one of the works that have been needed for several centuries and until the present time because of its prominent role and great importance in scientific research, translation, language teaching, and knowledge of others' civilizations, cultures and sciences on a large scale.

الملخص

لا يزال البحث في (مجال اللُّغة) أمراً متواصلاً منذ العصور الوسطى، حتّى تطوّره في عصر النهضة، ثمّ سرعان ما اتّسع نطاق البحث فيه حتّى شمل المنهج التقابليّ، الذي جاءت على وِفقهِ هذه الدِراسة للبحث في المعنى: (**اللُّغويّ، والاصطلاحيّ**) لمصطلحيّ: (**القاموس، والمعجم**) في اللُّغتين: (**العربيّة، والإنجليزيّة**)، والفرق بينهما، وتأريخ/ تاريخ ظهورهما، واستعمالهما في اللُّغة العربيّة، وما يقابلهما من ألفاظٍ في اللُّغة الإنجليزيّة، مع التعريف برائدي هذه الصناعة التي بدأت عند العرب على يد الشيخ: (الخليل بن أحمد الفراهيديّ 718 – 786م)، حينما قام بتأليف كتاب (العين) في القرن (الثاني الهجريّ/ الثامن الميلاديّ)، وبدأت عند الإنجليز على يد الدكتور:

(صامويل جونسون Samuel Johnson 1709-1784) حينما قام بتأليف أوّل قاموسٍ إنجليزيٍّ عام 1755م، ثُمّ تطوّرها عبر العصور، إذ تُعدُّ هذه الصناعة من الأعمال التي دعت الحاجة إليها منذ قرونٍ عدّةٍ، وحتّى وقتنا الحاضر، لِما لها من دورٍ بارزٍ، وأهميّةٍ عظيمةٍ في البحث العلمي، والترجمة، وتعليم اللُّغات، وتعلُّمها، ومعرفة حضارات الأمم، وثقافاتهم، وعلومهم على نحوٍ واسعٍ.

الكلمات المفتاحية: المصطلحات، العربية، الإنجليزية، المعجم، القاموس، المعنى، اللغة، اللغات، القواميس، المعاجم، الاصطلاحات، البحث.

الحمد لله الذي خلق الإنسان، علّمه البيان، وميّزه من الحيوان، بالقدرة على الكلام، فجعله ينطق باللّسان، باختلاف الأجناس والألوان، فقال جلَّ ثناؤُه: وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ ٢٢*.

وصلّى اللهُ وسلّم على النبيّ الخاتم المبعوثِ رحمةً للعالمين، بلسانٍ عربيٍّ مبينٍ، وبعد.

فلقد كانت فكرة جمع اللُّغة في كتابٍ واحدٍ ولا تزال من الأفكار التي استحوذت على ذهن الإنسان، وعقله منذ آلاف السنين، حتّى الوقت الحاضر، حيث تشير الدراسات اللُّغويّة الحديثة التي تَتَبَّعَتْ آثار الحضارات الإنسانيّة القديمة أنَّ صناعة القواميس، والمعاجم بدأت في أجزاءٍ مختلفةٍ من العالم القديم قبل آلاف السنين، وأنَّ تأريخ/ تاريخ أقدم محاولةٍ لجمع اللُّغة في كتابٍ واحدٍ على هيأة/ هيئة قاموسٍ، أو معجمٍ أُحاديّ اللُّغة كانت تتمثَّل في المحاولات: الصينيّة، والأشوريّة/ والآشورية، واليونانيّة إبّان القرن الثالث قبل الميلاد، أمّا أقدم محاولةٍ لجمع اللُّغة على هيأة/ هيئة قاموسٍ، أو معجمٍ ثُنائيّ اللُّغة فتشير أغلب المصادر إلى أنّها كانت تتمثّل في الألواح المسمارية للإمبراطورية الأكّاديّة التي كانت تحتوي على قائمةٍ ثنائيّة اللُّغة بالكلمات (السومريّة، والأكّاديّة)، حوالي عام (2300 ق.م)، في (إلبا)، سوريا الحاليّة.

وخلال العصور الوسطى التي بدأت بتدمير روما، ونهبها عام (410م)، أصبحت الأمة العربيّة الإسلاميّة من الأمم الساعية إلى ركب قاطرة العلم، والمعرفة، وذلك بفضل نزول الوحي (القرآن الكريم) على النبيّ الخاتم محمّدٍ ﷺ مطلع القرن (السابع الميلاديّ)، في عام (610م)، ثُمّ بعد وفاة النبيّ محمّدٍ ﷺ في الثامن من يونيو عام (632م) قام عددٌ من الصحابة بجمع (القرآن الكريم) في كتابٍ واحدٍ، برعاية الخليفة الرّاشد الثالث: عثمان بن عفان ﷺ (47ق.هـ - 35هـ/576 - 656م)، فسُمِّيَ (بالمصحف العثمانيّ)، وذلك حوالي عام (651 م)، وهو البداية الأولى للكتابة، أو التدوين عند العرب، ثُمّ بفضل تعاظم الفتوحات الإسلاميّة، وازدياد احتكاك العرب المسلمين بأبناء العالم الخارجيّ وشعورهم المتزايد بتسرّب اللحن إلى لغة (القرآن الكريم)، اتجهت أنظار نخبةٍ من الذين آمنوا بضرورة المحافظة على كتاب الله العزيز بعد وفاة الرسول ﷺ من سريان اللحن فيه، إلى إنقاذ لغة (القرآن الكريم) من هذا اللحن الذي طال حتّى أبناء العربيّة أنفسهم، فسعوا إلى تدريس علوم العربيّة في جامع البصرة، موطن مهد نشأة العلوم (الأصيلة، والدخيلة) عند العرب، وذلك حوالي عام (38هـ/659م)، برعاية الخليفة الرّاشد الرابع: عليّ بن أبي طالب ﷺ (23ق.هـ - 40هـ/600 - 661م)، وبإمامة الصحابيّ الجليل: أبي الأسود،

* [الروم:22].

ظالم بن عمرو الدؤليّ (16ق.هـ - 69هـ/604 - 689م - رحمه الله تعالى)، ثُمّ توالت زعامة تدريس علوم العربيّة بجامع البصرة الشهير من بعده، حتّى وصلت تلك الزعامة إلى يد الشيخ الجليل: أبو عبد الرحمان، الخليل بن أحمد الفراهيديّ (100 - 175هـ/718 ـ 786م ـ رحمه الله تعالى)، هذا الشيخ الذي ظهرت على يديه فكرة جمع اللُّغة في كتابٍ واحدٍ إبّان القرن الثاني الهجريّ، الموافق للقرن الثامن الميلاديّ.

ثم احتدم الصراع، وزاد التنافس بين علماء اللُّغة، في تصنيف هذه الكتب على تنوّعٍ في أهدافها، وأحجامها، وأنواعها، حتى لا يستطيع إنسانٌ حصرها بعددٍ معيّن في كلتا اللُّغتين في هذا العصر.

وبعد مرور أكثر من ثلاثة عشر قرناً من الزمن على ظهورها، أو البداية الحقيقيّة لتأليفها، وتصنيفها، لا يزال المجتمعان (العربيّ، والإنجليزيّ) لا يفرّقان بين هذين المصطلحين، ويخلطان بينهما، وكأنهما مسميان لكتاب واحدٍ، أو كأنّهما لفظان مترادفان، وهما في حقيقة الأمر على غير ذلك، فلكلٍّ منهما دلالته الوظيفيّة الخاصة به، وبينهما بونٌ لُغويٌّ شاسعٌ نفذت إليه هذه الدراسة؛ بهدف الإجابة عن التساؤلات الآتية:

- **الأوّل**: ما القاموس؟ وما المعجم؟ لغةً، واصطلاحاً، وما الفرق بين المصطلحين في الاستعمال اللُّغويّ، والوظيفيّ في اللُّغتين: العربيّة، والإنجليزيّة؟
- **الثاني**: متى ظهر أوّل استعمالٍ للمصطلحين معاً في اللُّغتين العربيّة، والإنجليزيّة ليدلّا على كلِّ كتابٍ يضمّ بين طياته أكبر عددٍ ممكنٍ من مفردات اللّغة؟
- **والثالث**: لماذا التبس الأمر على السواد الأعظم من اللُّغويّين، ومستعملي اللُّغة على حدٍّ سواء في التفريق بين المصطلحين، في كلتا اللُّغتين، ويخلطون بينهما، على الرّغم من أنّ لكلٍ منهما دلالته الوظيفيّة الخاصة به؟

فالقاموس: قعر البحر، وقيل: وسطه، ومعظمه، أو أبعد موضعٍ غوراً فيه، أمّا المعجم فهو: حروف الهجاء المقطّعة، لأنّها أعجميّةٌ، والعجمة: إبهامٌ، وخفاءٌ في الكتابة، وعدمُ فصاحةٍ في الكلام، فلا يوجد إذن ما يجمع بينهما على الصعيد اللُّغويّ، وهو ما دعاني إلى التأمّل الدقيق، والتفكير العميق في داخل هذين المصطلحين، فبدأت بوضع حلٍّ لهذه الإشكالية في 21 أغسطس 2021م، بتشجيعٍ كبيرٍ من عالمي اللُّغة: البروفسور/ عليّ حسن مزبان، من العراق الشقيق، والبروفسور/ عبد الجليل أبو بكر غزالة، من المغرب الشقيق، فلهما مني كلَّ الشكر، والتقدير، وقد تلقّيت بعد ذلك دعوةً كريمةً في السادس عشر من أبريل 2022م، من منصة (أريد) العلميّة للناطقين باللُّغة العربية؛ للمشاركة (بمحفلها العلميّ الدوليّ العاشر) بالمملكة المغربيّة الشقيقة، فلبّيتُ الدعوة،

وقمت بتقديم عرضٍ لملخّص هذه الدراسة في فعاليات (**المؤتمر الدوليّ العاشر للاتّجاهات الحديثة في العلوم الإنسانية، والاجتماعيّة، واللُّغويّة، والأدبيّة**)، بتنظيمٍ سامٍ من جامعة: (سيدي محمد بن عبدالله) بفاس، وجامعة: (مولاي إسماعيل) بمكناس، للفترة: 23 – 28 مايو 2022م، وقد قمت بتقسيمها إلى: مقدمةٍ، وخاتمةٍ، ومتنٍ يحوي الموضوعات الآتية:

1. ريادة العمل القاموسيّ، والمعجميّ في المجتمعين (العربيّ، والإنجليزيّ).
2. المفهوم اللُّغويّ، والاصطلاحيّ لمصطلحي: (القَاموس، والمعجم).
3. نشأة صناعة القَواميس، والمعاجم وتطوّرها عبر العصور في المجتمعين: (العربيّ، والأُوروبيّ).

آملاً أن تجد هذه الدراسة في نفوس علماء اللُّغة، وطلاّبها، والباحثين في هذا المجال من جميع أصقاع الأرض وقعاً، وفي رفوف مكتبات الجامعات المختلفة مكاناً متسعاً، والله من وراء القصد.

■ أوّلاً: الخليل (رحمه الله تعالى) رائد صناعة (القواميس، والمعاجم) العربيّة، والإنجليزيّة:

قام الخليل (رحمه الله تعالى) بتبني فكرة عمل أوّل محاولةٍ عربيّةٍ خالصةٍ، ومتكاملةٍ لتأليف كتابٍ لغويٍّ عربيٍّ ضخمٍ في نهاية القرن (**الثاني الهجريّ/ الثامن الميلاديّ**)، ليضمّ بين طيّاته جميع كلام العرب على حروف المعجم، وهو بذلك يكون أوّل لغويٍّ عربيٍّ يقوم بمثل هذا العمل، سابقاً اللُّغويّين العرب، والعجم جميعاً، إذ كان ذلك قبل أن يفكّر الإنجليز في تأليف أوّل عملٍ قاموسيٍّ في إنجلترا بعشرة قرونٍ كاملةٍ من الزمن، وذلك حينما قام السيد: (صامويل جونسون Samuel Johnson) بتأليف أوّل عملٍ لغويٍّ يضم جميع الكلمات، والألفاظ، والمصطلحات الإنجليزيّة عام 1755م، وقد نُشِر في الخامس عشر من شهر أبريل، من عام 1755م، حاملاً اسمه، فسُمِّي (**بقاموس جونسون**)، والذي يُعَدُّ أكثر القواميس الإنجليزية أهميةً، وتأثيراً؛ كونه أوّل قاموسٍ إنجليزيٍّ متكاملٍ، وحقيقيٍّ لهذه اللُّغة.

ولهذا يكون الخليل بحقٍّ رائد صناعة القواميس، والمعاجم العربيّة، والإنجليزية، بتأليفه (**كتاب العين**) ذائع الصيت، والذي وصلنا منذ العصور الوسطى، ثم تلاحق العمل بالتأليف في هذا المجال فيما بعد الخليل وفقاً للفهرسة على حروف المعجم، بإنتاج العديد من القواميس، والمعاجم، ودوائر المعارف، والموسوعات حتّى وقتنا الحاضر.

لقد اعتمد الخليل في قيامه بهذه الخطوة الجبّارة في جمعه لأكثر من (اثنيّ عشر) مليون مفردةٍ على عدّة عوامل؛ لعلّ أهمها أنّه كان من قرّاء القرآن الكريم (البدوي، 1989م)، كما كان له علمٌ بالحديث الشريف، إضافةً إلى ثقافته الواسعة، وعلمه بلغات العرب، وبأشعارهم، وأخبارهم، وحكمهم، وأمثالهم ...

فقد كان (رحمه الله) مستوعباً كلَّ معارف عصره، ماهراً في علوم اللّغة، والأدب، وفي الطب، وفي الفلسفة، وفي علم الفلك، والرّياضيّات، وممّا يُروى عنه أنّه: "دخل رجلٌ ومعه ابنه، فقال للخليل: أيّها الشيخ! جئتك من سفرٍ بعيدٍ، فأدِّب ابني شيئاً من علم النجوم، والنحو، والطب، وفرائض الفقه، والحمار بالباب! فقال الخليل (رحمه الله تعالى): اعلم أنّ الثريّا في وسط السماء، وأنّ الفاعل مرفوعٌ، وأنّ الإهليلج دافعٌ للصفراء، وإن مات أحدٌ وترك ابنين فالمال بينهما سواءٌ، فقال الرجل لابنه: يا بني! قُمْ، فأنت عالمٌ بالفنون" (البدوي، 1989م).

لم يكن الخليل بارعاً في تلك المعارف فحسب، وإنما بلغ من نبوغه أنّه صاحب فتوى في علم الشطرنج، وفي تعبير الرؤيا، وفي حساب الجمّل (البدوي، 1989م)، وفي الموسيقى، حيثُ قاده توقّد ذكائه، وفطنته إلى اختراع ما يُعرَف (بعلم عروض الشعر)، وهو علمٌ لم يَسْبِقْه إليه أحدٌ من قبل، مع ما قام به من إدخال سماتٍ جديدةٍ على علم الرّسم، حيث ميّز بين الحرف المهمل والمعجم، كما جعل لكلٍّ منها رمزاً يضبط حالته، رفعاً، ونصباً، وخفضاً، وجزماً، كما جاء برأس عينٍ لتكون رمزاً على الهمزة، ورمز على الحرف المشدّد بثلاث سيناتٍ صغيرةٍ، كرمزٍ للشدة من لفظ (شديدٍ)، وللتنوين بتكرار الحركة على الحرف، ما أكسب الرسم الإملائي إضافاتٍ جديدةٍ حقّقت نوعاً من الاقتصاد، والجهد، للكاتب الذي أصبح يستطيع استعمال لونٍ واحدٍ في الكتابة (البدوي، 1989م).

وبالرّغم من تبحّر الخليل (رحمه الله تعالى) في العلوم والمعارف فلم يقم بتصنيف الكتب، سوى كتاب العين، وذلك بشهادة تلميذه (سيبويه رحمه الله تعالى) نفسه، فممّا يُروى عنه أنّه قيل له: "هل رأيت مع الخليل كُتُباً يُملي عليك منها؟ فقال: لم أجد معه كتباً إلّا عشرين رطلاً فيها بخطٍّ دقيقٍ ما سمعته من لغات العرب، وما سمعتُ من النحو فإملاءٌ من قلبه" (البدوي، 1989م).

وكتاب (العين) هذا ظهر في نهاية القرن (**الثاني الهجريّ/ الثامن الميلاديّ**)، وعلى الرّغم من التشكيك الذي طال مؤلّفه أهو (الخليل رحمه الله تعالى)، أم تلميذه (الليث)، أم تلميذه (النضر بن شميل)، فهناك من الأخبار والدلائل التي تؤكّد أنّ كتاب (العين) كان من صنعه هو، لا من تأليف غيره، وأنه يظلُّ أوّلَ كتابٍ يضم كلام العرب، وألفاظهم بترتيبٍ لافتٍ للنظر، أراد من خلاله معرفة أشعار العرب، وأمثالهم، ومخاطباتهم، فلا يشذّ شيءٌ من ذلك، ومن جميل ما ورد عنه أنّه قام بحصر الألفاظ العربيّة في أربعة أصنافٍ: الثنائيّ، والثلاثيّ، والرباعيّ، والخماسيّ، فما زاد على ذلك فهو ليس من كلام العرب.

وروي عن الخليل (رحمه الله تعالى) أنّه كان قد تُوفّي نتيجةً أبحاثه العلميّة، حيث دخل المسجد ذات يومٍ وهو يتأمّل في مسألةٍ علميّةٍ فاصطدم بعمودٍ ومات (فيرستيج، 2007)، وقد بلغت شهرته الآفاق،

ولعلّ واحداً من أسباب تلك الشهرة صلته العلميّة بسيبويه، فهو الذي أُطْلِقَ عليه لقب: (**إمام النحو**)، وهو الذي أورد اسم (الخليل) صريحاً في كتابه أكثر من خمسمائة/ خمسمائة مرةٍ، وهو الكتاب الذي أُطْلِقَ عليه لقب: (**قرآن النحو**)، لكونه أوّل كتابٍ يحوي وصفاً متكاملاً لمنظومة قواعد اللُّغة العربيّة، فكان بحقٍّ بادئة الحضارة العربيّة الإسلاميّة، التي أَسَّسَتْ فيما بعد لنهضةٍ فكريّةٍ شملت العراق، والشام، ومصر، وإسبانيا، والمغرب، وغيرها من المناطق التي رعت تلك الحضارة في علومٍ شتّى سنين طويلةً.

وقد حظيت هذه الحضارة بالإسهام في نشأة فكرة جمع اللُّغة في كتابٍ واحدٍ، وحينما نمت هذه الفكرة وتطوّرت برز عددٌ غير قليلٍ من اللُّغويّين العرب القدامى ليعلنوا السباق في تصنيف هذا النوع من الكتب، التي صار يشار إليها فيما بعد (بالقواميس)، و(بالمعاجم)، فكلاهما تم تصنيفه وفقاً لحروف المعجم، فما القاموس؟ وما المعجم؟

■ ثانياً: المفهوم اللُّغويّ، والاصطلاحيّ لمصطلحي (القَاموس، والمعجم):

1. المفهوم اللُّغويّ لمصطلح (القاموس) في اللُّغة العربيّة:

تكاد تجمع مصادر اللُّغة العربيّة على أنّ لفظَ: (**قاموسٍ**) هو: اسمٌ عربيٌّ مفردٌ مذكرٌ، ينحدر من الجذر اللُّغويّ: (قَمَسَ)، وهو بمعنى: (الغطسُ في الماء ثم الخروج منه)، كما يفعل القمَّاسون، أي (الغطَّاسون) في الألعاب الرّياضيّة البحريّة، والألعاب الأولمبيّة، وغيرها، قال أَبو ذؤيب (ابن-منظور، 2004):

كأَنَّ ابنةَ السَهْمِيّ دَرَّةَ قامسٍ لها بعد تَقْطِيعِ النُّبُوح وهِيجُ

وقال الخليل (رحمه الله تعالى): القمسُ: "كلُّ شيءٍ يَنْغَطُّ في الماء ثم يرتفع فقد قمس، وفي المثل: بلغ قوله قاموس البحر؛ أي قعره الأقصى" (الفراهيديّ، 2001).

وفي اللسان: "قال شَمِرٌ: قَمَسَ الرّجل في الماء إذا غاب فيه، وقَمَسَتِ الدلوُ في الماء إذا غابت فيه، وقَمَسْتُ به في البئر إذا رميت، وفي الحديث: أنّه ﷺ رجم رجلاً ثمّ صلّى عليه، وقال: إنّه الآن لينقمس في رياض الجنّة، وروي: في أنهار الجنّة، وقمس الولد في بطن أمه: اضطرب، والقامس: الغوّاص، وكذلك القمّاس، والقمس: الغوص، والقاموس، والقومس: قعر البحر، وفي حديث ابن عبّاس: وسُئِلَ عن المدّ والجزر، قال: مَلَكٌ مُوَكَّلٌ بقاموس البحر، كلّما وضع رجله فيه فاض، وإذا رفعها غاض؛ أي: زاد، ونقص، وهو ما يُعْرَفُ اليوم بحركتي (المدِّ، والجزرِ)، وفي الحديث أيضاً: قال قولاً بلغ به قاموس البحر، أي قعره الأقصى، وقيل: وسطه، ومعظمه، قال أبو عبيد: القاموس أبعد موضعٍ غوراً في البحر" (ابن-منظور، 2004).

2. المفهوم اللُّغويّ لمصطلح (المعجم) في اللُّغة العربيّة:

تشير مصادر اللُّغة العربيّة إلى أنّ لفظَ: (**مُعْجَمٍ**) هو: اسمٌ مفردٌ مذكرٌ، ينحدر من الجذر اللُّغويّ (عَجَمَ)، كذا في العين، وفي اللسان، والصحاح، وغيرها، وقيل: مصدرٌ، مشتقّ من الفعل الرّباعيّ: (أَعْجَمَ)، الذي هو على وزن (أَسْحَمَ)، قال امرئ القيس*:

دِيارٌ لِسَلمى عافِياتٌ بِذي خالٍ أَلَحَّ عَلَيها كُلُّ أَسْحَمَ هَطّالِ

حيث تقول: أعجمتُ الكتاب؛ أي: نقَّطته، وشَكَلْته، وأعجمت الكلام؛ أي: ذهبت به إلى كلام العجم، وأنشد: يُرِيدُ أن يُعْرِبَهُ فَيُعْجِمُهُ

وقد ذكر اللُّغويّون عدَّةَ معانٍ لهذا اللفظ في كلام العرب، لعلّ من أهمّها ما ورد في كتاب (العين): "العَجَمُ ضدُّ العرب، ورجلٌ أعجميٌّ: ليس بعربيّ، ومن الأقوامِ (عجمٌ وعربٌ)، والأعجم الذي لا يفصح، أي: لا يبيّن كلامه بوضوحٍ، أو هو كلُّ كلامٍ ليس بلغةٍ عربيّةٍ، فتلك إذن لغةٌ غير واضحةٍ للعربيّ، والعجماء: كلُّ صلاةٍ لا يُقْرأُ فيها، والمعجم: حروف الهجاء المقطّعة، لأنّها أعجميّةٌ، وتعجيم الكتاب: تنقيطه، كي تستبين عجمته ويصحّ، أي: تتبيّن دلالة مفرداته، وعَجْمُ التَّمرِ نواهُ، والإنسانُ يعجُم التّمرَةَ إذا لاكها بنواتها في فمه، وعجمت العود: عضضت عليه بأسناني أيّها أصلب، قال عبد الله بن سبرة الجرشيّ:

وكم عاجم عودي أضرّ بنابه مذاقي ففي نابيهِ فرض فلولِ

وقال الحجاّج: "إنّ أمير المؤمنين نكب كنانته فَعَجَمَ عيدانها فوجدني أصلبها، أي: عضَّ عليها بأسنانه لينظر ويتبيّن أيّها أصلب من الآخر، وهذا مثلٌ، أي: جرّب الرّجالَ فاختارني منهم؛ وهو يشير بذلك إلى أنّ أمير المؤمنين (عبد الملك بن مروان: ت 86هـ/ 705م) اختاره ليكون والياً على العراق، بعد أن جرّب كثيراً من الرجال" (الفراهيديّ، 2001).

وأنشد بعضهم: ذو طُرَّةٍ لو كان حُلْوَ المَعْجَمِ

ويقال: ما عجمتك عيني منذ كذا: أي ما أخذتك.

ولم يزد الخليل أو غيره من اللُّغويّين العرب الذين جاؤوا من بعده على ذلك، سوى إضافاتٍ قليلةٍ لا فائدةٌ من ذكرها في هذه الدراسة.

* عنوان القصيدة: (مغامرة نسائية).

3. المفهوم الاصطلاحيّ لمصطلحي (القاموس، والمعجم) في اللُّغة العربيّة:

حتّى وقتٍ قريبٍ يُعَرَّفُ (**القاموس**) على أنّه: "كتابٌ لُغويٌّ، يضمّ قدراً ضخماً من المفردات، مرتّبةً بحسب حروف المعجم، وقد يُسمّى معجماً" (التونجي و الأسمر ، 2001م).

ويُعَرَّفُ (**المعجم**) على أنّه: "كتابٌ يضمُّ أكبر عددٍ من مفردات اللُّغة، مقرونةً بشرحها، وتفسير معانيها، على أن تكون الموادّ مرتّبةً ترتيباً خاصّاً، إمّا على حروف الهجاء، وإمّا الموضوع، والمعجم الكامل هو الذي يضمّ كلَّ كلمةٍ في اللُّغة، مصحوبة بشرح معناها، واشتقاقها، وطريقة نطقها، وشواهد تبيّن مواضع استعمالها، ولا يُطلق المعجم على غير هذا؛ فإذا جمعنا كلَّ ألفاظ اللّغة في كتابٍ ولم نُصْحِبْها فإنّه لا يُسمّى معجماً، وكذلك لا يُسمّى معجماً إذا وضعنا فيه كلماتٍ معدودةٍ مشروحةٍ، بل لا بُدّ أنْ يكون المعجم كما عرّفناه، ووصفناه" (عطّار، 1984م).

وقد نتج هذان التعريفان الاصطلاحيّان لـ (القاموسِ، والمعجمِ) بناءً على رؤية علماء اللُّغة المحدثين، ونظرتهم الشمولية إلى ما انتهت إليه تلك المصنفات الضخمة، منذ ظهورها بالعالم العربيّ على يد الإمام اللُّغويّ العربيّ الفذ: الخليل بن أحمد الفراهيديّ (ت 175هـ/786م – رحمه الله تعالى)، في القرن (الثاني الهجريّ/ الثامن الميلاديّ)، وحتّى وقتٍ مبكرٍ من العصر الحديث على يد اللُّغويّ العربيّ الكبير: محمّد مرتضى الزبيديّ (ت 1205هـ/1790م ـ رحمه الله تعالى).

حيث قام هؤلاء اللُّغويّون (رحمهم الله تعالى جميعاً) بتصنيف أعمالهم اللُّغويّة لغرض جمع جذور اللُّغة، ومفرداتها، وحفظها في متون كتبهم، مشفوعةً بشروحٍ قد تكون موجزةً؛ فلا تجاوز في مجملها مجلّداً واحداً، كما عليه الحال في كتاب: (العين)، وقد تطول إلى أن تصل إلى عشرين مجلداً؛ لما تحويه من معلوماتٍ إضافيةٍ عن كلِّ كلمةٍ من الكلمات التي وردت فيها؛ من صيغٍ، واشتقاقٍ، وتصريفٍ، ومعانٍ، واستعمالاتٍ مختلفةٍ، إضافةً إلى العديد من أقوال العرب الفصحاء الخُلَّص، وأشعارهم، وأمثالهم، وحكمهم، وبعض مآثرهم، وبما تحويه من العديد من آي الذكر الحكيم، وأحاديث النبيّ ﷺ، فضلاً عمّا تحويه من قواعد لغويّةٍ، ووقائع تاريخيةٍ، كما في كتاب: (لسان العرب)، الذي صنّفه عالم اللُّغة الجليل: أبو الفضل جمال الدين بن منظور (ت 711هـ/1311م – رحمه الله تعالى)، وذلك اعتماداً على ثقافة اللُّغويّ، وسيطرته على متن اللُّغة، وزمامها، وهدفه من عمل مصنّفه.

وبالرجوع إلى تلك الكتب (القديمة) التي صُنِّفت فيما بين القرنين (الثاني، والثالث عشر الهجريّين)، (الثامن، والثامن عشر الميلاديّين)، نجدها جميعاً قد صُنِّفت لغرض جمع جميع مفردات اللُّغة في كتابٍ لُغويٍّ واحدٍ، ممّا

يجعلها كتباً جامعةً، ولذلك فقد رُمِزَ إلى معظم عناوينها بكلمةٍ تدلُّ على عمق مواد تلك الكتب، وغزارتها، واتساعها، (كالبحر، والمحيط).

فالبحرُ: خلافُ البرّ، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾*.

وهو لفظٌ يُطلقُ على الماء الكثير العميق المنبسط الواسع، مِلْحاً كان أو عذباً، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾†.

فالبحار المالحة: هي تلك المياه الكثيرة العميقة المنبسطة الواسعة، التي تغطي أجزاءً كبيرةً من سطح الكرة الأرضيّة؛ كالبحر الأحمر، والبحر الأسود، والبحر الأبيض، والبحر الميّت، وبحر قزوين، وكذلك تلك المياه التي تحتلُّ مساحاتٍ أكبر من حجم مساحات تلك البحار، وتحيط بمعظم اليابسة من الكرة الأرضية، ولهذا يطلق عليها الجغرافيّون، والجيولوجيّون، وعلماء الأرض، والمياه لفظ: (المحيطات)؛ وما هي في الحقيقة إلّا أبحرٌ مالحةٌ ضخمةٌ، لها قدرٌ كبيرٌ من العمق، والانبساط، والاتّساع، بما يجعلها تحيط بقدرٍ كبيرٍ من اليابسة، كالبحر الهادي، والهنديّ، والأطلسيّ، والمتجمّد الشماليّ، إذ لا تعرف العرب غير هذه الكلمة ليطلقوها على كلّ ماءٍ كثيرٍ، منبسطٍ، ومتّسعٍ، ومالحٍ يشبهها، يقول الحقُّ ﷻ: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾‡.

فجمع القرآن الكريم عدداً من الأوصاف في هذه الآية تجري على كلّ ماءٍ جارٍ، واسعٍ، منبسطٍ، عذباً كان، أو ملحاً، كبيراً كان، أو صغيراً.

أمّا البحار العذبة: فهي تلك المياه الكثيرة المنبسطة الجارية على اليابسة التي تُعرف: (بالأنهار)، قال تعالى: ﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾§.

ومفردها: (نهرٌ)، قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ﴾**.

وتثنّى على (نهرين)، روي عن النبيّ ﷺ أنّه قال: "نهران مؤمنان، ونهران كافران؛ فالمؤمنان: النيل، والفرات، والكافران: دجلة، ونهر بلخ" (ابن-الأثير).

---

* [الأنعام: 97].

† [الفرقان: 53].

‡ [النحل: 14].

§ [نوح: 12].

** [القمر: 54].

وسمّيت بالأنهارِ؛ لأنَّ الإنهارَ: الإسالة، والصبُّ بكثرةٍ، والمنهرُ: موضع النهر، يحتفره الماء (الفراهيديّ، 2001)، وفي حديث ابن أُنَيْس: "فَأَتَوا مَنْهَرَاً فاختبأوا فيه" (ابن-الأثير).

وهي؛ كالنيل في مصر، والأمازون في البرازيل، والمسيسيبي Mississippi في الشمال الشرقي لأمريكا الشمالية، في الولايات المتحدة الأمريكيّة، ودجلة، والفرات في العراق، وغيرها.

والعرب تطلق عليها لفظ البحر في مثل قول ابن مُقْبِلٍ (ابن-منظور، 2004) (الفراهيديّ، 2001):

ونحن منعنا البحرَ أن يشربوا به وقد كان منكم ماؤُه بمكانِ

وقول أبي ذؤيبٍ الهذليّ يصف السحاب* (الفرّاء):

شَرِبْنَ بِماءِ البَحْرِ ثمَّ تَرَفَّعَتْ متى لُجَجٍ خضرٍ لهنَّ نئيجُ

ويُطلقُ على البحرين: (**العذب، والمالح**) معاً، لفظ: (**اليم**)، فهو مصطلحٌ مائيٌّ لا يُثنّى، ولا يُجْمَعُ جمعاً سالماً، ولا يُكسّر، واسْتُخْدِمَ على قِلَّةٍ في العربيّة قديماً، وأُهْمِلَ حديثاً، قال تعالى: ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾†.

وقال ابن هاني الأندلسيّ:

فتَخرُقُ جَيبَ المزْن والمزْنُ دالِحٌ وتُوقِدُ موجَ اليَمِّ واليَمُّ أسفَع

واليمُ هو البحرُ، قال الخليل: "اليمُّ: البحر الذي لا يُدْرَكُ قعره، ولا شطأه" (الفراهيديّ، 2001) (ابن-منظور، 2004)، وذكر الإمام الطبريّ (رحمه الله تعالى) في تفسير قوله ﷻ: ﴿وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾‡؛ حديث ابن عباسٍ ﷺ قال: "ذراه في اليمّ، واليمُّ: البحر" (الطبريّ، 2008م).

وأنَّ هذا اليمَّ: (**عَذْبٌ، ومِلْحٌ**)؛ وشاهد (**العذب**) في القصة التي تتحدّث عن الماء الذي أُلْقِيَ فيه النبيّ (موسى عليه السلام) عند ولادته، ومنها قول الحقّ ﷻ: ﴿أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ

* بروايةٍ أخرى: تروّت بماء البحر ثمّ تنصَّبتْ * على حبشيّاتٍ لهنَّ نئيجُ.

† [القصص: 40].

‡ [طه: 97].

بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ﴾*، وقوله ﷻ: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ۖ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾†.

وهو نهر النيل؛ لما ذكره الإمام الطبريّ (رحمه الله تعالى) في تفسيره: "يعني باليم: النيل" (الطبريّ، 2008م).

وما ذكره الإمام القرطبيّ (رحمه الله تعالى) في تفسيره:"أي: اطرحيه في البحر؛ نهر النيل" (القرطبيّ، 2008م).

وهو ما يؤكّده قول الله ﷻ: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾‡.

ففرعون كان يتحدّث عن مجموعةٍ من المجاري المائية المتفرّعة من النيل، وتسير نحو قصره، فتجري من تحته باتجاه بحر القلزم، ناحية الشرق من القصر الفرعونيّ، ومياهه عذبةٌ على عكس بحر القلزم، وهو ما يؤيّده الإمام القرطبيّ بقوله: "... ثم ألقته في النيل، وكان يشرع منه نهرٌ كبيرٌ في دار فرعون" (القرطبيّ، 2008م).

أي أنّ نهراً كبيراً – بحسب وصفه – كان يشرع من نهر النيل، ويسير إلى دار فرعون، وهو ما تؤكّده بعض الدراسات الحديثة التي أشارت إلى أنّ نهر النيل كان يتكون من خمسة أفرعٍ نهريةٍ في العصور القديمة بمدينة (بررعمسيس) على عهد فرعون، حيث تقع (محافظة الشرقية) حالياً، وأنّ قصر فرعون كان مشرفاً على بحيرةٍ ملكيةٍ متصلةٍ بفرعٍ من أفرع النيل يسمى: (الفرع البيلوزي)، وهو ما يعرف حالياً (ببحر فاقوس)، الذي كانت تقع جنوبه مساكن العبرانيّين الذين ولد فيهم النبيُّ موسى عليه السلام §، وأُلقيَ فيه لينقله الماء إلى البحيرة المطلة على القصر الفرعونيّ، حيث وجده آل فرعون.

أمّا شاهد اليم: (**الملح**) ففيما نَقَلَه الإمام الطبريّ عن السديّ قوله: "ثم ذراه في (اليم) فلم يبق (بحرٌ) يومئذٍ إلا وقع فيه شيء منه" (الطبريّ، 2008م).

ففي هذا الحديث إشارةٌ قويةٌ إلى أنّ (اليم) الذي ذُرّيَ فيه (العجل) الذي اتخذه نفرٌ من بني إسرائيل إلهاً لهم هو (البحر الأحمر) المعروف بملوحته، وهو ما أيده الإمام القرطبيُّ (رحمه الله تعالى) في تفسيره لقول الله ﷻ: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾**.

---

* [طه: 39].

† [القصص: 7].

‡ [الزخرف: 51].

§ تم استنتاج هذه المعلومات من بعض المواقع الإلكترونية المختلفة.

** [البقرة: 50].

قال: "ويُذْكرُ أنَّ البحرَ هو بحر القلزم" (القرطبيّ، 2008م)؛ الاسم القديم للبحر الأحمر.

وبناءً على هذا يكون اليم الذي ورد في القصة التي تتحدّث عن نجاة بني إسرائيل من قوم موسى عليه السلام وغرق آل فرعون، عند فرارهم من مصر، وتوجّههم إلى فلسطين، نظراً لبطش آل فرعون بهم، في قوله تعالى: ﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾*.

هو نفسه بحر القلزم، أو (البحر الأحمر)، المحاذي للحدود الشرقية لمصر، وهو بحرٌ معروفٌ بملوحته، حيث وقع الغرق في موضع ماءٍ واحدٍ، ذكره القرآن الكريم بلفظين مختلفين؛ هما: (**البحر، واليم**)، في قول الله جل جلاله: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ۝ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾†.

وقُدِّم لفظ البحر على اليم بالآية؛ لكثرة استعمال لفظ البحر دون اليم منذ ذلك التأريخ، إلى أن أُهمِلَ تماماً في الوقت الحاضر، وهو أمرٌ مألوفٌ في القرآن الكريم، كما في قوله تعالى: ﴿يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾‡.

حيث تقدّم ذكر النبات الأكثر حضوراً على سطح الأرض؛ ثم الأقلّ فالأقلّ.

وهنا نلحظ تطابقاً في الاستعمال اللُّغويّ الثنائيّ للفظ (**اليم**) في اللُّغة العربيّة، إذ أطلقته العرب على كلِّ ماءٍ كثيرٍ منبسطٍ واسعٍ، ملحاً كان، أو عذباً، الأمر الذي لا نجده في ترجمته إلى اللُّغة الإنجليزيّة، فقد ترجمه (الياس أنطون) صاحب قاموس (الياس العصريّ) الثنائيّ إلى: (Sea, Ocean) (الياس)، وترجمه د. (روحي البعلبكيّ) في قاموسه (المورد) الثنائيّ إلى لفظ: (Sea) فقط (البعلبكيّ، 2005م)، وهو ما فعلته أيضاً لجنة إعداد (القاموس المزدوج)، التي اكتفت بترجمته إلى لفظ: (Sea) الإنجليزيّ فقط (والبحوث، 2011م).

ويطلق لفظ (البحر) أيضاً على الراعي إذا وقع في رعيٍ كثيرٍ، فيقال: تبحَّر الراعي، قال أميّة بن أبي الصلت (الفراهيديّ، 2001):

انعِقْ بضأنك في بقلٍ تُبَحِّرُه من ذي الأباطح واحبسها بجلذانِ

---

* [الأعراف: 136].

† [طه: 77، 78].

‡ [النحل: 11].

وتقول: إنّ فلاناً لبحرٌ؛ أي: واسع المعروف، واسْتَبْحَرَ، أو تبَحَّر في العلم، أي: اتَّسع فيه فأصبح كالبحر، كما سُمِّيَ بذلك ابن عبّاس ﷺ لسعة علمه، وكثرته، كما يقال: تبحَّر في المال، أيضاً (الفراهيديّ، 2001).

أمّا (المحيط): فهو اسم مفعولٍ اشتقّ من الجذر اللُّغويّ (حَوَطَ) على وزن (فَعَلَ) ليدلَّ على عدّة معانٍ لغويّةٍ ليس بينها الماء؛ ملحاً كان أو عذباً، والتي منها:

(الحفظ، والتعهّد)، كما في قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا﴾*.

وكما في قول الهذليّ (ابن-منظور، 2004):

وأَحفظُ مَنْصِبي، وأَحوطُ عِرْضي وبعض القومِ ليس بذي حِياطِ

ومنها: **(الجمع)**، كما في قوله ﷻ: ﴿وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾†. أي: جامعهم يوم القيامة.

وبمعنى: **(بلوغ أقصى الشيء)**، وإحصاء علمه، وبلوغه أقصاه، وإحرازه كُلُّه، يُقال: هذا الأمر ما أحطتُ به علماً، أي: (لستُ محيطاً به علماً)، كما يُقَالُ: أحاط بالأمر، أي: إذا أحدق به من جميع جوانبه كُلِّهِ، ومنه قوله ﷻ: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾‡.

أي: علمته من جميع جهاته، فأنا به محيطٌ، وفي الحديث: "وتحيط دعوته من ورائهم"، أي: تحدق بهم من جميع نواحيهم.

وبمعنى: **(اشتمال القدرة)**، كما في قوله ﷻ: ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾§.

أي: لا يُعْجِزُه أحدٌ منهم، فقدرته مشتملةٌ عليهم جميعاً.

كما يطلق علماء (الرّياضيّات، والهندسة) حديثاً هذا اللفظ على كلّ ما يحيط بأشكالهم الهندسيّة؛ من دائرةٍ، ومستطيلٍ، ومثلثٍ، ومربع.

* [النساء: 126].

† [البقرة: 19].

‡ [النمل: 22].

§ [البروج: 20].

وبناءً على هذه المعاني مجتمعة للفظي: (**البحر**)، و(**المحيط**) فقد تسابق اللُّغويّون القدامى، وتنافسوا على جمع أكبر قدرٍ ممكنٍ من مفردات اللُّغة في متون كتبهم التي صنّفوها على عدد حروف المعجم، وترتيبها، حيث يرغب كلٌّ منهم بأن يكون لها جامعاً، وبها محيطاً؛ ويبدو ذلك من قول الشيخ: أبو نصر إسماعيل بن حمّاد الجوهريّ (ت 393هـ/1003م – رحمه الله تعالى) في مقدّمة كتابه (الصحاح): "أمّا بعد، فإنّي قد أودعت هذا الكتاب ما صحَّ عندي من هذه اللُّغة، التي شرَّف الله منزلتها، وجعل علم الدين والدنيا منوطاً بمعرفتها؛ على ترتيبٍ لم أُسْبَقْ إليه، وتهذيبٍ لم أُغْلبْ عليه، في ثمانيةٍ وعشرين باباً، وكلُّ بابٍ منها ثمانيةٌ وعشرون فصلاً، على عدد حروف المعجم، وترتيبها" (الجوهريّ، 1990م).

ولأنّ كلمة (**محيطٍ**) تتّجه دلالتها إلى العديد من المعاني الدالّة على السعة، والشمول بشكلٍ أكبرَ، وأوسعَ من دلالة لفظ (**البحر**)، استقى منها كثيرٌ من اللُّغويّين القدامى عناوين كتبهم، كما فعل الإمام: أبو القاسم، الصاحب إسماعيل بن عبّاد (ت 385هـ/995م – رحمه الله تعالى)، الذي أطلق على أحد كتبه: (**المحيط في اللُّغة**)، وتبعه في ذلك الشيخ الجليل: عليّ بن إسماعيل الضرير الأندلسيّ، المعروف (بابن سيده – ت 458هـ/1067م رحمه الله تعالى)، الذي سمّى أحد مؤلَّفاته اللُّغويّة: (**المحكم والمحيط الأعظم**)، وتبعهم في ذلك الشيخ محمّد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت 817هـ/1415م) الذي أطلق على مُصنّفه: (**القاموس المحيط**)، ليجمع بين معنيين في عنوانٍ واحدٍ، فالقاموس: هو البحر في انبساطه، وعمقه، واتساعه، وغزارة مادته، والمحيط: هو إحداق الشيء من جوانبه جميعه.

وربَّما كان هذا سبباً مباشراً لعدم إطلاق الخليل (رحمه الله تعالى) لفظ (القاموس)، أو (المحيط) على كتابه (العين)، لأنّه بفطنته وفطرته كان يدرك، ويعي تماماً (رحمه الله تعالى) بأنّ كتابه لم يكن بتلك السعة أو الغزارة التي تجعله يقوم بإطلاق إحدى هاتين التسميتين، أو كلتيهما عليه، في حين أنّه كان أوّل مصُنَّفٍ لُغويٍّ عربيٍّ متكاملٍ يُصَنَّفُ على حروف المعجم، وقد رتّبه بطريقةٍ فلسفيّةٍ هندسيّةٍ صوتيةٍ، ورياضياتيّةٍ/ ورياضيّةٍ لم تُسْبقْ، فقد كان (رحمه الله تعالى) يرى فيها الطريقة المناسبة لجمع مفردات اللُّغة، متّخذاً من ترتيب مخارج الأصوات أساساً لتسلسلها، وحكمته في ذلك كما نَقَلَ عنه من سَمِعَهُ يقول: "لم أبدأ بالهمزة لأنه يلحقها النقص، والتغيير، والحذف، ولا بالألف لأنها لا تكون في ابتداء كلمةٍ، ولا في اسمٍ، ولا فعلٍ إلّا زائدةٌ، أو مبدلةٌ، ولا بالهاء؛ لأنّها مهموسةٌ خفيةٌ، لا صوت لها، فَنَزَلَتْ إلى الحيّز الثاني وفيه العينُ، والحاءُ، فوجدت العينَ أنصعَ الحرفين فابتدأت به؛ ليكون أحسنَ في التأليف، وليس العلم بتقدّم شيءٍ على شيءٍ؛ لأنّه كلّه مما يحتاج إلى معرفته، فبأيٍّ بدأت كان حسناً، وأولاها بالتقديم أكثرها تصرّفاً" (الشدياق، 1299هـ).

وهو بذلك كان قد جعل من الحرف الأوّل الذي بدأ به عنواناً لكتابه، من دون اللجوء إلى ما يدلُّ على السعة، أو الإحاطة، وقد تبعه على هذا النهج؛ نهج الترتيب المخرجيّ الشيخ: أبو عليٍّ القاليّ، إسماعيل بن القاسم البغداديّ (ت 356هـ/967م)، في كتابه الموسوم (**البارع في اللُّغة**) (القماطيّ، 1984م).

وبالعودة إلى لفظ (**قاموسٍ**) عند قدامى اللُّغويّين لا نجد أحداً منهم كان قد استعمل هذا اللفظ للدلالة على سعة كتابه في جمع مفردات اللُّغة، وغزارتها قبل الشيخ العلّامة: محمّد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت817هـ/1415م)، الذي كان يرى في نفسه أنّه قام بجمع أكثر ما يمكن جمعه من مفردات اللُّغة في عصره بهذا الكتاب، فسمّاه (**القاموس المحيط**)؛ بمعنى: (البحر المحيط)، ليعبّرَ بذلك عن عمق تبحُّرِه، ومدى إحاطته الواسعة بشرح ما أمكنه شرحه، وجمع ما أمكنه جمعه من مفردات اللُّغة، وكأنّه قفز إلى البحر، وجمع كلَّ ما فيه من لآلئ، وأحاط بما لم يحط به سابقوه من ألفاظٍ فصيحةٍ، وغيرها، فقال في مقدّمة كتابه:

"كنت برهةً من الزمن التمس كتاباً جامعاً بسيطاً، ومصنفاً على الفصح، والشوارد محيطاً" (الفيروزآباديّ، 2005).

وقد قام بعض اللُّغويّين القدامى الذين صنفوا كتبهم على حروف المعجم بتسمية مصنفاتهم بأسماءٍ حوت ألفاظاً تحمل معنى: (البحر) في عمقه، وانبساطه، واتساعه، ومعنى: (المحيط) في شموله، وإحاطته، في مثل كتاب: (**العباب الزاخر، واللُّباب الفاخر**)، لمصنفه الشيخ: الحسن بن محمّد، المعروف (بالصاغاني)، (ت 650هـ/1252م رحمه الله تعالى)، ليدلَّ على غزارة مواده، وكثرتها، ولعلّه كان قد استقى هذا العنوان من الحديث الذي يقول: "إنَّا حيٌّ من مَذْحِجٍ، عُبابُ سلفها، ولبابُ شرفها" (ابن–منظور، 2004) (الفراهيديّ، 2001).

فالعباب: "صبُّ الماء دون انقطاعٍ، هكذا في اللسان، وعُبابُ كلِّ شيءٍ أوّلُه، وعُبابُ الماء: أوّلُه، ومعظمُه، والعُبابُ كذلك: كثرة الماء، والمطر الكثير، وعُبابُ السيل: معظمه، وارتفاعه، وكثرته" (ابن–منظور، 2004).

أمّا **اللُّباب** في اللُّغة: فهو الخالص من كلِّ شيءٍ، قال ذو الرُّمة يصف فحلاً مئناثاً (ابن–منظور، 2004) (الفراهيديّ، 2001):

سِبَحْلاً أبا شِرْخَيْنِ أحيا بناتِهِ مَقاليتُها، فهي اللُّبابُ الحبائسُ

وممّن استعمل كذلك لفظ البحر ليطلقه على كتابه الذي جمع فيه جميع مفردات اللُّغة الإمام اللُّغويَّ آخر اللُّغويّين القدامى الشيخ: محمّد مرتضى الزبيديّ (ت 1205هـ/1790م – رحمه الله تعالى)، الذي كان قد أطلق على كتابه عنوان:

(**تاج العروس من جواهر القاموس**)، ليشير بذلك إلى صياغة مصنفه من خالص فصيح اللُّغة، **فالتاجُ** عادةً ما يكون رمزاً للإحاطة، والملك، ويكون مرصّعاً بالعديد من الجواهر المستخرجة من قاع البحر، ويدلُّ لفظُ **القاموسِ** على قاع البحر، وعمقه، واتّساعه، وما يوجد فيه من لآلِئٍ، ودُرَرٍ، قال الشاعر:

وهي زهراءُ مثلُ لؤلؤةِ الغو اصِ، ميزت من جوهرٍ مكنونِ

وبالرجوع إلى كلمة (**معجم**)، فلا نجد أحداً من علماء اللُّغة القدامى كان قد استعمل هذا اللفظ، أو أطلقه على أيَّ مصنَّفٍ من مصنّفاته اللُّغويّة في العصور الأولى من ولادة هذه الكتب المصنّفة على حروف المعجم، ابتداءً من عصر الخليل (رحمه الله تعالى) في القرن (الثامن الميلاديّ)، وصولاً إلى عصر الزبيديّ (رحمه الله تعالى) في القرن (الثامن عشر الميلاديّ)، وإنّما يرجع أثر استعمال لفظ (المعجم) إلى أهل الحديث النبويّ الشريف، كما نقل عنهم ذلك أكثر من واحدٍ من علماء اللُّغة المحدثين، مثل الدكتور: عليّ حسن مزبان الذي قال: "إنّ الإمام البخاريّ (ت 256هـ/869م – رحمه الله تعالى) هو أوّل من استخدم هذا اللفظ في صحيحه، حينما قال: باب تسمية من سُمِّي من أهل بدرٍ في الجامع الذي وضعه أبو عبدالله على حروف المعجم، وأنَّ: (أبو عبدالله) هو الإمام (البخاريّ) نفسه" (مزبان، 2002م).

وقيل أيضاً: إنّ الإمام الشيخ: أبو يعلى أحمد بن عليّ بن المثنّى بن يحيى بن عيسى الموصليّ (ت307هـ/919م – رحمه الله تعالى) كان قد استخدم هذا اللفظ بصريح العبارة، وأطلقه على كتابه الموسوم: (**المعجم**)، ويقصد بذلك ترتيب مواد كتابه، وتصنيفها وفقاً لحروف المعجم؛ ليسهل الرجوع إلى أيٍّ منها، وقد بدأه (بباب المحمدين) من شيوخه؛ تبرّكاً باسم النبي محمّدٍ ﷺ، وعندما انتهى من سردهم قال: باب إبراهيم، ثم باب إسحاق، فباب إسماعيل، ولما انتهى منهم قال: باب الباء، ثم باب الجيم، ثم باب الحاء، ثم سرد بقية الحروف حتى انتهى إلى باب الياء، وهو كتابٌ جليلٌ حوى أسماء الصحابة، ودُرراً من مناقبهم، وأنوارَ فضائلهم، وبعض آثارهم، وأحاديثهم، وبعض الآثار المرويّة عنهم.

ولعلَّ أبو يعلى الموصليّ كان قد استعمل هذا اللفظ، وأطلقه على كتابه نتيجة تأثّره بمن سبقه من أهل الحديث، الذين استعمل بعضهم هذا اللفظ، وأطلقه على بعض مصنّفاته التي قام بترتيبها وفقاً لنظام تسلسل حروف الهجاء، وتبعه في ذلك الإمام الشيخ: أبو القاسم، عبد الله بن محمّد بن عبد العزيز البغويّ، المعروف: بابن بنت منيع (ت 315هـ/927م – رحمه الله تعالى)، الذي أطلق هذا اللفظ على كتابيه: (**المعجم الكبير**)، و(**المعجم الصغير**).

وكذلك فعل الإمام الشيخ: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبرانيّ (ت 360هـ/918م)، الذي أطلق هذا اللفظ على كتابه: (**المعجم الكبير**)، وقد قال في مقدمته: "هذا كتابٌ ألَّفناه، جامعٌ لعدد ما انتهى إلينا ممّن روى عن رسول الله ﷺ من الرِّجال، والنساء، على حروف ألف، ب، ت، ث، بدأت فيه بالعشرة ﷺ، لئلا يتقدمهم أحدٌ غيرهم".

وقال في مقدمة كتابه (**المعجم الصغير**): "هذا أوّل كتاب فوائد مشائخي/ مشايخي الذين كتبت عنهم بالأمصار، خرَّجت عن كلِّ واحدٍ منهم حديثاً واحداً، وجعلت أسماءهم على حروف المعجم".

ومن غير أهل الحديث نجد من استعمل لفظ (المعجم)، وأطلقه على كتابه في غير جمع مفردات اللُّغة، مثل الإمام الرّحالة: شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحمويّ (ت 626هـ/1179م)، الذي خصّص مصنّفه للحديث عن البلدان، وأطلق عليه اسم: (**معجم البلدان**)، وقد قال في مقدّمته: "فاستخرت الله تعالى، وجمعت ما شتّتوه، وأضفت إليه ما أهملوه، ورتّبته على حروف المعجم" (الحموي، 2011م).

وعليه يمكن القول إنّ علماء اللُّغة القدامى جميعاً لم يكن لهم يدٌ في استعمال لفظ (المعجم)، ليجعلوا منه عنواناً لكتبهم، بما فيهم الشيخ: أبو نصر الجوهريّ (ت 393هـ/1003م – رحمه الله تعالى) الذي ذكر في مقدمة كتابه (**الصحاح**): بأنه قام بترتيب مصنفه في ثمانيةٍ وعشرين باباً، وثمانيةٍ وعشرين فصلاً، على عدد حروف المعجم، ومع ذلك لم يقم بإطلاق هذه التسمية على مصنّفه، وسماه (**الصحاح**)، وإنّما كان ذلك من بعض العلماء الذين صنَّفوا كتبهم في غير مفردات اللُّغة، وفقاً لحروف المعجم، فهم أوّل من اتّخذ من عبارة: (على حروف المعجم) مصطلح (**المعجم**)، ليطلقوه على كتبهم.

من هنا صار يُطلقُ مصطلح (**المعجم**) على كلِّ كتابٍ صُنِّفَ في أحد فروع المعرفة، ورُتِّبت مادته على حروف الهجاء، ابتداءً من القرن (الرابع الهجريّ/ العاشر الميلاديّ)، ولعلّ هذا ما يفسِّر مقابلة لفظ (المعجم) للفظ الإنجليزيّ: (Lexicon).

وبناءً على هذا الفهم قام اللُّغويّون العرب المحدثون باستعمال مصطلح (المعجم)، ليطلقوه على كلِّ كتابٍ لُغويٍّ، أو غير لُغويٍّ، تم تصنيفه تصنيفاً (ألف بائيّاً) على حروف الهجاء، قديماً كان، أم حديثاً، وسواءٌ كان يحوي جميع ألفاظ اللُّغة العربيّة، ومفرداتها، كما في كتاب (**العين**)، أو كتاب (**لسان العرب**)، أو كان يحوي جميع ألفاظ لُغةٍ أجنبيّةٍ، ومفرداتها، كما في كتاب: (**Longman Dictionary**) الأمريكيّ، أو كتاب: (**BBC English Dictionary**) البريطانيّ، اللذان يحويان بين طياتهما جميع مفردات

اللُّغة الإنجليزيّة (**Vocabulary of a language**)، على اللهجتين الإنجليزيتين الأكثر شيوعاً وتداولاً في العالم: (الأمريكيّة، والبريطانيّة).

أو كان يحوي ترجمةً لمعاني مفردات اللُّغة العربيّة إلى إحدى اللُّغات الإنسانيّة الأخرى (Bilingual Dictionary)، كما في كتاب (**المورد Al-mawrid**)، لمؤلّفه: (منير البعلبكيّ)، وقد جمع فيه مفردات اللُّغتين: (العربيّة، والإنجليزيّة)، أو كتاب (**إلياس Elias**) العصريّ الحديث، أو كان يحوي مادةً لُغويّةً معيّنةً في إحدى موضوعات اللُّغة، ككتاب: (**جمهرة اللُّغة**)، لمصنّفه: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزديّ (ت 321هـ/933م)، أو كتاب: (**مقاييس اللُّغة**)، لصاحبه الشيخ: أبو الحسين، أحمد بن فارس القزوينيّ الرازيّ (ت 395 هـ/ 1004م)، أو كان يحوي مادةً علميّةً معيّنةً في إحدى موضوعات العلم، والمعرفة؛ ككتاب: (**معجم البلدان**) الذي أشير إليه آنفاً، أو كتاب: (**معجم علماء الفيزياء**) لمؤلّفه: الدكتور زهير أبو زينة.

ومن خلال تلك النظرة الفاحصة الملقاة على جملةٍ من تلك المصادر التي صُنِّفَت/ صنِّفَت بين منتصف القرن (الثاني الهجريّ) الموافق لمنتصف القرن (الثامن الميلاديّ)، والقرن (الثالث عشر الهجريّ) الموافق للقرن (الثامن عشر الميلاديّ) يتبيَّن الفرقُ واضحاً جليّاً بين لفظي: (القاموس، والمعجم).

- ✓ **فالقاموس**: كلُّ عملٍ كتابيٍّ خُصِّص ليحوي جميع مفردات اللُّغة القوميّة، أو المترجمة عنها إلى لُغةٍ أجنبيّةٍ، مصحوبةً بشرح معانيها، واشتقاقها، وتصريفها، وطرائق نطقها، ودلالة ألفاظها، وشواهد تبين استخداماتها اللُّغويّة، سواءٌ تم ترتيب موادها وفقاً لحروف المعجم، أو اتبع مصنّفوها طرائق أخرى لترتيبها.
- ✓ **أمّا المعجمُ**، فهو: كلُّ عملٍ كتابيٍّ يحوي مجموعةً معيّنةً فقط من المعارف الأساسيّة في أحد موضوعات المعرفة، مثل كتاب: (الفهرست)، لابن النديم، أو كتاب: (معجم البلدان)، لياقوت الحمويّ، أو كتاب: (معجم الشعراء)، للمرزبانيّ، أو كتاب: (معجم المؤلّفين) الذي صنَّفه حديثاً السيّد، عمر رضا كحّالة.

والدليل أنّك تستطيع أنْ تطلق لفظ: (المعجم) على: (القاموس)، فتقول مثلاً: (معجم العين)، أو (معجم لسان العرب)، أو (معجم تاج العروس)، وهكذا، في حين أنّك لا تستطيع فعل العكس، فتطلق لفظ (القاموس) على أي معجمٍ من المعاجم غير اللُّغويّة، حيث لا تستطيع أن تقول مثلاً: (قاموس البلدان)، أو: (قاموس المؤلّفين)، أو: (قاموس الشعراء)، وهلم جرّا.

ولهذا خلط المحدثون بين المصطلحين وكأنّهما مسميان لكتابٍ واحدٍ، أو كأنّهما لفظان مترادفان، فجعلوا كلمة (معجمٍ) مرادفةً لكلمة (قاموسٍ)، وليس أدلّ على ذلك ممّا فعله مجمع اللُّغة العربيّة بالقاهرة، حينما أطلق لفظ (معجمٍ) على مؤلّفاته التي صُنِّفت لتكون شارحةً لمعاني ألفاظ اللُّغة العربيّة من الألف إلى الياء، والتي تمّ تسميتها: (**بالمعجم الكبير**)، و(**المعجم الوسيط**)، و(**المعجم الوجيز**).

وجميعها بحسب هذه الدراسة قواميس، لا معاجم، كان من المفترض أن يطلق عليها: (القاموس العربيّ الكبير)، و(القاموس العربيّ الوسيط)، و(القاموس العربيّ الوجيز)، بوصفها كتباً تحوي جميع ألفاظ اللُّغة العربيّة لا غير.

4. المقابل اللُّغويّ لمصطلحي (القاموس، والمعجم) العربيّين في اللُّغة الإنجليزيّة:

من خلال تتُّبع تعريفي: (القاموس، والمعجم) في الاستعمال الوظيفي للُّغة العربيّة، واشتمالهما على أكبر قدرٍ ممكنٍ من المادة اللُّغويّة التي من الممكن أنْ تكون في كتابٍ واحدٍ، سواءٌ كان ذلك الكتاب أحاديّ اللُّغة، أم ثنائيّ اللُّغة، أو ثلاثيّ اللُّغة، ومرتبةً وفقاً لحروف المعجم، وعلى هذا فإنّ ما يقابل هذين المصطلحين اللذين يشتركان في هاتين الصفتين: الأولى: (الجمع الغزير، والعميق للمادة العلمية)، والثانية: (ترتيب تلك المادة وفقاً لحروف المعجم)، فهو اللفظ الإنجليزيّ: **Dictionary**، وهو:

Reference book that lists words in order and gives their meanings (LongmanGroup, 1995).

وكذلك اللفظ الإنجليزيّ: (**Lexicon**)، وهو:

A. Technical all the words and phrases used in a language or that a particular person knows (LongmanGroup, 1995).
B. A book containing an alphabetical list of words with their meanings (LongmanGroup, 1995).

■ ثالثاً: نشأة صناعة القَواميس، والمعاجم وتطوّرها في المجتمعين (العربيّ، والأُوروبيّ):

منذ ظهور كتاب (العين) في القرن (**الثاني الهجريّ/ الثامن الميلاديّ**) أصبح يتلاحق تأليف هذه الكتب، ويتتابع تصنيفها في سلسلةٍ منتظمةٍ حتّى وقتنا الحاضر، حيث برز علماء القرن (**الثالث الهجريّ/ التاسع الميلاديّ**) بإسهاماتهم الجليلة في نشأة (**القواميس، والمعاجم**) وتطوّرها في أثناء هذا القرن، فاتحين الطريق في هذا المجال أمام كلّ مَنْ جاء مِنْ بعدهم.

ومن أشهر الكتب التي صُنِّفت في هذا القرن كتاب: (**النوادر في اللُّغة**)، وهو كتابٌ معتدل الحجم، غزير المادة اللُّغويّة، وينطوي على قدرٍ كبيرٍ من الألفاظ الغريبة كما يشير إلى ذلك عنوانه، وهو من تصنيف الإمام: أبي زيدٍ سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاريّ (ت 215هـ/830م)، والذي يُعدُّ واحداً من أعلام القرن الذين رووا اللُّغة عن أعراب الباديّة، وهو من شيوخ سيبويه (رحمه الله تعالى)، وقد صنَّف عدداً لا بأس به من كتب اللُّغة؛ مثل كتاب: (الإبل)، وكتاب: (خلق الإنسان)، وكتاب: (المطر) (الدقاق).

كما شهد هذا القرن ولادة كتاب: (**الألفاظ**)، الذي يُعدُّ مساهمةً كبيرةً في نشأة علم المعاجم، ومن أهم حلقات سلسلة (القواميس، والمعاجم)، وخطوةً ضخمةً في تاريخ (معاجم المعاني)، وهو كتابٌ صغيرٌ وُضِعَ بحسب معاني الألفاظ العربيّة، ناهيك عن كتاب: (**إصلاح المنطق**)، الذي صُنِّفَ بقصد ضبط جمهرةٍ كبيرةٍ من لغة العرب، والتمييز بين ما يتشابه نطقه منها، وما يمكن أن يؤدّي من هذه الألفاظ إلى الاختلاف، واللبس نتيجة هذا التشابه (الدقاق).

وهذان الكتابان ظهرا على يد الشيخ: أبي يوسف يعقوب بن إسحق، المعروف (بابن السكيت)، (ت 244هـ/858م – رحمه الله تعالى)، وهو لغويٌّ كبيرٌ، ومشهورٌ، برز في علوم اللُّغة، والشعر، وعلوم القرآن، ونحو الكوفيّين.

وببزوغ فجر القرن (**الرابع الهجريّ/ التاسع الميلاديّ**) ازداد حماس اللُّغويّين، وتسابقهم في تصنيف هذه الكتب بشكلٍ لافتٍ للنظر، حيث نمت فكرة جمع اللُّغة في كتابٍ واحدٍ وفقاً لطريقة الترتيب على حروف المعجم، وتطورت تطوّراً كبيراً بصورةٍ أحكمَ وأدقَّ ممّا كانت عليه في القرنين السابقين، إلى أنْ جاوز مجموع المصنَّفات في هذا القرن وحده أكثر من عشرة كتب، من أبرزها كتاب: (**جمهرة اللُّغة**)، لأبي بكر بن دريد (ت 321هـ/934م – رحمه الله تعالى)، وقد جعله للجمهور من كلام العرب، دون الوحشيّ منها، والمستنكر، ويُعدُّ ابن دريد عمدة اللُّغويّين العرب في عصره، إذ بلغت مصنَّفاته حوالي خمسةً وعشرين مصنّفاً، وقد كان شيخاً لأبي عليٍّ القاليّ، وابن خالويه، وأبي الفرج الأصفهانيّ (الدقاق).

كما ظهر في الربع الأوّل من هذا القرن كتاب: (**الزاهر في معاني كلمات الناس**)، وهو كتابٌ فريدٌ جعله مصنَّفه: أبوبكر محمّد بن القاسم الأنباريّ (271 – 328هـ/884 – 940م) على غير ما تعارف عليه سلفه من اللُّغويّين الذين سبقوه، حيث أورد فيه معاني عددٍ كبيرٍ من الكلمات التي تستعملها الناس في صلواتهم، ودعائهم، وتسبيحهم، وتقرّبهم إلى الله ﷻ، وفي غير ذلك، ليكونوا عالمين بمعنى ما يتكلّمون به، وهو من جزئين، بدأ الأوّل بقول الناس في ثنائهم على ربِّهم: (حسبُنا اللهُ، ونعم الوكيل)، وختمه بقولهم: (ما لي في هذا الأمر درْكٌ)، وبدأ الثاني بقولهم: (ما ترمرم فلانٌ)، ليختمه بقولهم: (اللهمَّ أوزعنا شكرك).

ومن بين أبرز الكتب التي ظهرت خلال هذا القرن أيضاً كتاب: (**ديوان الأدب**)، لأبي إبراهيم، إسحاق بن إبراهيم الفارابيّ (ت 350هـ/961م)، وقد رتّبه على طريقة (الباب، والفصل)، فجعل الحرف الأصليّ الأخير بالكلمة باباً، والحرف الأوّلَ فصلاً، وهي الطريقة التي اتُّبِعت في معظم الكتب التالية له، وكتاب: (**البارع في اللُّغة**)، الذي ألّفه في الأندلس الشيخ: أبو عليّ إسماعيل بن القاسم البغداديّ القاليّ (ت 356هـ/967م) على طريقة معجم العين، كما شهد هذا القرن أيضاً ولادة كتاب: (**تهذيب اللُّغة**) الذي صنّفه الشيخ: أبو منصور، محمّد بن أحمد الأزهريّ (ت 370هـ/981م) بعد أنْ عاش مدَّةً طويلةً في قبيلة (هوازن) الفصيحة سنين طويةً، فنقل عنهم ما شافهه من الأعراب.

ويُعدُّ كتاب التهذيب من أبرز كتب مدرسة العين في هذا القرن الذي ظهر فيه أيضاً كتاب: (**المحيط في اللُّغة**)، للصاحب بن عبّاد (ت 385هـ/995م)، وهو كتابٌ ضخمٌ حشد فيه كثيراً من ألفاظ اللُّغة، وشواهدها، وكتاب: (**تاج اللُّغة، وصحاح العربيّة**)، الذي تقوم فكرته على التزام الصواب في نقل ما صحّ من كلام العرب، وتحرّي الضبط في التدوين لكيلا يتسرّب التصحيف، والخطأ إلى موادّه، وقد قام بتصنيفه الشيخ: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهريّ (ت398هـ 1008م) (القماطيّ، 1984م)، كما ظهر خلال هذا القرن كتابا: (**مجمل اللُّغة**)، و(**مقاييس اللُّغة**)؛ لأبي الحسين أحمد بن فارس (ت 395هـ/1004م)، وقد جعل (المقاييس) للاشتقاق الكبير، حيث يُرْجِعُ مفردات كلِّ مادةٍ إلى معنىً، أو معانٍ تشترك فيها (الدقاق).

وبحلول القرن (**الخامس الهجريّ/ العاشر الميلاديّ**) بدأ يقلُّ نشاط تأليف هذه الكتب بشكلٍ كبيرٍ، وملحوظٍ مقارنةً بالقرن (الرابع الهجريّ/ التاسع الميلاديّ)، ليستمرّ هذا النضب حتّى نهاية القرن (**الثالث عشر الهجريّ/ التاسع عشر الميلاديّ**)، وبخاصّةٍ في بلاد المشرق العربيّ، ومن بين أبرز الكتب التي صُنِّفت إبّان هذه الحقبة: كتاب: (**المخصّص في اللُّغة**)، وكتاب: (**المحكم، والمحيط الأعظم**)، للإمام اللُّغويّ: أبي الحسن عليّ بن إسماعيل بن سيده الأندلسيّ (ت 458هـ/1066م)، وكتاب: (**أساس البلاغة**)، للإمام: أبي القاسم محمود بن عمر الزّمخشريّ (ت 538هـ/1144م)، وقد قام بترتيبه على طريقة الحرفين الأوّل، والثاني من أصول الكلمة، متّبعاً فكرةً جديدةً لم تكن قد ظهرت من قبل؛ تمثّلت في تبيين (الحقيقة، والمجاز) للكلمة، حيث قام بشرح الكلمة، وتبيين معناها الحقيقيّ، والمجازيّ.

كما قام الإمام: رضيّ الدين الحسن بن محمّد الصاغانيّ (ت 650هـ/1252م) خلال هذه الفترة بتأليف كتاب: (**العباب الزاخر، واللباب الفاخر**)، وكتاب: (**التكملة، والذيل والصلة على صحاح الجوهريّ**)،

مع ما قام به عالم العربيّة المشهور الشيخ: جمال الدين محمّد بن مكرّم، المعروف (بابن منظور)، (ت 711هـ/1311م) من حسن تدبيرٍ بتأليفه كتاباً ضخماً، ضمّ أكثر من اثني عشر مليون كلمةٍ، أطلق عليه اسم: (**لسان العرب**)، وقد ضمنه العديد من الشواهد القرآنيّة، والأحاديث النبويّة، وأشعار العرب، وحكمهم، وأمثالهم، وغير ذلك، ممّا جعله بحقٍّ أكثر مصادر اللُّغة العربيّة استيعاباً لألفاظها، وشروحها، حتّى نال المرتبة الأولى في أسباب الرجوع إليه، كمصدرٍ لغويٍّ صُنِّفَ في هذا المجال.

وقام الإمام اللُّغويُّ: أحمد بن محمد بن علي الفيومي (ت 770هـ/1368م – رحمه الله تعالى) بتأليف قاموس: (**المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**)، معتمداً في تأليفه على نحو سبعين مصنفًاً منهم: تهذيب الأزهريّ، ومجمل ابن فارس، وإصلاح المنطق لابن السكيّت، وديوان الأدب للفارابيّ، وصِحاح الجوهريّ، وفصيح ثعلب النحويّ، وأساس البلاغة للزمخشريّ، وغيرهم.

ثم يأتي بعد ذلك عالم اللُّغة: محمّد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت 817 هـ/ 1414م)، ليقوم بتأليف كتابه (**القاموس المحيط**)، الذي به تنتهي حلقات سلسلة المؤلفات القديمة (للقواميس، والمعاجم)، وذلك بانتهاء العصور الوسطى، وابتداء العصور الحديثة التي جعلها المؤرّخون تبدأ باندثار الإمبراطوريّة البيزنطيّة، وسقوط عاصمتها القسطنطينية عام (1453م)، وتأسيس الإمبراطوريّة العثمانيّة، واكتشاف أمريكا عام (1492م)، ليتم بدايةً من هذه الحفبة/ الحقبة تقديم صورةٍ حديثةٍ (**للقواميس، والمعاجم**)، في سلسلةٍ جديدةٍ بدأت حلقاتها مع مطلع القرن: (**الثالث عشر الهجريّ/ الثامن عشر الميلاديّ**) بتأليف كتاب: (**تاج العروس من جواهر القاموس**)، للإمام: محمّد مرتضى الزَبيديّ (ت 1205هـ/ 1790م)، أقدم، وأعظم مؤلّفي (القواميس، والمعاجم) في هذه الفترة، وقد جمع فيه من جميع المعاجم التي سبقته.

ثم يليه بعد ذلك المعلّم: بطرس البستانيّ (ت 1300هـ/ 1883م)، ليقوم بإعادة تصنيف كتاب الفيروزآبادي: (القاموس المحيط) بطريقته في كتابٍ أطلق عليه: (**محيط المحيط**) سنة 1870م، ثم اختصره في كتابٍ آخر أسماه: (**قطر المحيط**) (الدقاق)، ثم قام بعد ذلك بتأليف أوّل (موسوعةٍ عربيّةٍ) أطلق عليها اسم: (**دائرة معارف البستاني**)، لتكون أوّل كتابٍ عربيٍّ عامٍّ لكلِّ (فنٍّ، ومطلبٍ)، وقد تصدّرت لبنان، ومصر في هذه الآونة قائمة إنتاج (القواميس، والمعاجم) الحديثة التي استمرّ عطاؤها حتّى وقتنا الحاضر.

ثم قام اللُّغويّ اللبنانيّ: سعيد بن عبدالله الخوريّ الشرتونيّ (ت 1330هـ/ 1912م) بتأليف كتاب: (**أقرب الموارد في فُصْحِ العربيّة والشوارد**)، وهو إضافةً إلى أنّه كتابٌ جمع فيه جميع مفردات اللُّغة تناول فيه أيضاً كلَّ ما وقف عليه من مصطلحاتٍ علميّةٍ، والكلِم المولّد، والأعلام، كما قام الراهب اليسوعيّ اللبنانيّ:

لويس بن نقولا ضاهر المعلوف (ت 1365هـ/ 1946م) بتأليف كتاب: (**المنجد**)، وقد أورد فيه مئات المفردات، والمعاني المستحدثة من لغة المعاصرين، فضلاً عن قرابة ألف كلمةٍ ونيّف من اصطلاحات ذوي العلم، والاختصاص بمختلف ميادين المعرفة، مع تناوله الكثير من الكلمات القديمة، والحديثة، شارحاً لها، وموضحاً ما أمكنه توضيحه، وقد اجتهد في ذكر اللُّغة الأم (اللُّغة القوميّة) التي ينتمي إليها الكلام الدخيل، كما اجتهد في تعيين حقول المعرفة التي تستعمل فيها بعض المفردات اختصاصاً؛ من طبٍ، وزراعةٍ، وكيمياء، وعلم نباتٍ، وغير ذلك.

وفي هذا الإطار صدر عن مجمع اللُّغة العربيّة بالقاهرة عام (1380هـ/ 1960م) ثلاثة كتبٍ لشرح جميع مفردات اللُّغة من الألف إلى الياء، وهي: (**المعجم الكبير**)، (**المعجم الوسيط**)، و(**المعجم الوجيز**)، كما قامت (المنظمة العربيّة للتربيّة، والثقافة، والعلوم) عام (1409هـ/ 1989م) بنشر كتاب: (**المعجم العربيّ الأساسيّ للناطقين بالعربيّة، ومتعلميها**)، وهو كتابٌ لغويٌّ موسوعيٌّ من تأليف لجنةٍ من اللُّغويّين العرب، بتكليفٍ من المنظمة نفسها، وإشرافها، ويقع في مجلّدٍ واحدٍ من (1347) صفحةٍ.

وخلال القرون الأخيرة من العصر الحديث أسهم بعض اللُّغويّين الأعاجم الذين خالطوا العرب وثقفوا لغتهم، واكتسبوها كلغةٍ ثانيةٍ في صناعة بعض القواميس والمعاجم العربيّة، كما قاموا بتحقيقها، وشرحها أيضاً، فالمستشرق الإنجليزيّ: (وليم بِدول William Bedwell ت 1041هـ/ 1632م) كان أوّل من نقل معاني القرآن الكريم إلى اللُّغة الإنجليزيّة، وقام بتأليف قاموسٍ للمفردات العربية المستعملة في اللُّغات الغربية من العصر البيزنطي إلى عصره (الزركلي).

كما إنّ المستشرق الهولنديّ (رينهارت دوزي Reinhart Dozy 1820 – 1880م) صنّف كتاباً أطلق عليه اسم (تكملة المعاجم العربيّة)، سنة (1881م)، رصد فيه بعض الظواهر اللُّغويّة التي لم ترد بكتب اللُّغويّين القدامى، ويعرض فيه التطورات الدلالية الحاصلة على كلّ مفردةٍ من مفردات اللُّغة (خلف–الله، 2021م).

وقد ظهر في منتصف القرن العشرين، أي في عام (1952م) قاموسٌ بالألمانية بعنوان:

(Arabisches worterbuch fur die Schriftsprache der Gehenwart) (أبوالفرج، 1966).

ورغم التاريخ الطويل لصناعة القواميس والمعاجم العربية، ومشاركة بعض اللُّغويّين الغربيّين لهم في صناعتها، فإنّ أوروبا لم تعرف هذا النوع من التصنيف إلّا مع بداية (**القرن الثالث عشر الميلاديّ**)،

حينما استعمل الأوروبيّون عام 1225م مصطلح (**Dictionarius**)، ويعني في الأصل اللاتينيّ: (مجموعةً من الألفاظ، أو الأقوال) ليطلقوه على: (قائمةٍ من الكلمات اللاتينيّة)، التي يريدون عمل توضيحٍ لها في لغاتهم المحليّة، ومنذ ذلك الوقت أصبح هذا اللفظ يُستعمل في اللُّغات الأوروبيّة على أنّه: (**اختيارٌ لمجموعةٍ من الكلمات في حقلٍ من حقول اللُّغة، لتوضيحها من اللُّغة اللاتينيّة إلى إحدى اللُّغات الأوروبيّة المنبثقة عنها؛ كالإنجليزيّة، والفرنسيّة**)، حيث كانت اللاتينيّة العنصر الأساس في جميع تلك المصنفات، إمّا كلغة المصدر، أو لغة الترجمة، وغالباً ما كانت تتمثّل تلك الأعمال في تفسير الكلمات الدينية الصعبة باستخدام اللاتينيّة أوّلاً، واللُّغة المحليّة فيما بعد، ثم تلتها مرحلةٌ أُخرى اختصّت في تفسير المصطلحات الطبيّة، ثم تقدم العمل بهذه الطريقة، حتّى صار التصنيف في الموضوعات التقنيّة طاغياً على الموضوعات اللُّغويّة، ولهذا كانت البدايات الأولى لصناعة القواميس، والمعاجم الأوروبيّة ذات طابعٍ علميٍّ ثنائيّ اللُّغة، على عكس ما كان عليه الحال في العالم العربيّ، الذي تبنّى بدايةً فكرة التأليف الأحاديّ قبل خمسة قرونٍ من انطلاق العمل المعجميّ الأوروبيّ، ثم انتقل إلى التصنيف الثنائيّ حينما دعت الحاجة إلى ذلك في العقود الأخيرة من القرن العشرين، نتيجة دخول معظم الشعوب العربيّة في دائرة الاستعمار الأوروبيّ، وحلّت تلك اللُّغات الأجنبيّة محل اللُّغة العربيّة في أغلب الدواوين، والدوائر الرسميّة لدى أغلب شعوب دول المنطقة العربيّة، وقد بقي فيها عددٌ من تلك اللُّغات حتّى عقب خروج المستعمر من أراضيها.

وبعد مرور أكثر من مئتي عامٍ تقريباً ظهر تجميعٌ من هذا النوع للنحويّ (جيفري Geoffrey) في عام (1440م) بعنوان: (**Promptorium Parvulorum, Sive Clericorum**)، بمعنى: (مخزنٌ أو مستودعٌ للأطفال ورجال الدين)، محتوياً حوالي 12,000 مدخلاً، مع مرادفاتها اللاتينيّة (كاوي، 1421هـ)، ثم بدأت حركة التصنيف في هذا الاتجاه تتسارع في نموها، وتصاعدها، وارتقائها، وفقاً للترتيب الموضوعيّ، أو الألف بائيّ، حتى قام السيّد: (جون بلزجريف John Balsgrave) في عام (1530م) بتصنيف قاموسٍ إنجليزيٍّ – فرنسيٍّ، بعنوان: (**Lesclarcissement de la Langue Francooyse**)، من أجل: (ماري تيودور Mary Tudor) زوجة لويس الثاني عشر (كاوي، 1421هـ).

وقام السيّد: (توماس إليوت Sir Thomas Elyot) في عام (1538م) بتصنيف قاموسٍ (**لاتينيٍّ – إنجليزيٍّ**)، ليظهر فيما بعد في عام (1553م) قاموسٌ للسيّد (جون ويتهولز John Withals) بعنوان: (**المختصر للمبتدئين الشباب Shorte Dictionarie for Yonge Begynners**)، وهو أكثر قاموسٍ (لاتينيٍّ ـ إنجليزيٍّ) شعبيّةً في القرن السادس عشر (كاوي، 1421هـ).

ثم استمرت تلك الأعمال القاموسيّة الثنائيةً نشطةً نشاطاً ملحوظاً، حتّى ولادة القواميس والمعاجم الأحاديّة مطلع القرن (**السابع عشر الميلاديّ**)، حينما كتب (Robert Cawdrey) قاموسه الموسوم: (**A table Alphabeticall**)، سنة (1604م)، في ثلاثة آلاف كلمةً (أبوالفرج، 1966) (كاوي، 1421هـ) (The New Encyclopedia Britannica=الموسوعة البريطانية ، 2007).

ويؤكّد (أ. ب. كاوي A. P. Cowie) بأنّه لم يكن في إنجلترا على سبيل المثال أيُّ قاعدةٍ نظريةٍ لممارسة صناعة القواميس والمعاجم على الصعيدين: (الأحاديّ، أو الثنائيّ) قبل عام (1750م)، وذلك حينما قام الدكتور: (صامويل جونسون Samuel Johnson 1709-1784) بتأليف أوّل عملٍ لغويٍّ يضم جميع كلمات اللُّغة الإنجليزيّة عام 1755م، ونُشِر هذا العمل في الخامس عشر من شهر أبريل، من العام نفسه، حاملاً اسمه، فسُمِّي (**بقاموس جونسون**)، والذي يُعَدُّ أكثر القواميس الإنجليزية أهميةً، وشهرةً، وتأثيراً؛ كونه أوّل قاموسٍ إنجليزيٍّ متكاملٍ، وحقيقيٍّ لهذه اللغة (كاوي، 1421هـ).

لقد عاش جونسون كامل حياته في القرن (الثاني عشر الهجريّ/ الثامن عشر الميلاديّ)، حيث ولد بمدينة: (لشفيلد Lichfield) بمقاطعة (ستافوردشاير Staffordshire) البريطانية، في الثامن عشر من شهر سبتمبر من عام 1709م، وتوفي في 13 ديسمبر 1784م، بمدينة لندن، عاصمة المملكة المتحدة، وهو بهذا التأريخ/ التاريخ يكون من معاصري اللُّغويّ العربيّ الكبير الشيخ: (محمّد مرتضى الزبيديّ – ت 1205هـ/1790م)، وقد احتفى كثيرون بسيرته الذاتية، فهو من كبار الأدباء، والكتّاب الإنجليز English poet essayist، وكان قد قدّم العديد من الأعمال والمساهمات الأدبيّة، والنقدية، واللُّغويّة، إذْ كان ناقداً Critic، ولُغويّاً Linguist وكاتب سيرة ذاتية Biographer مميّزاً، وكاتب مقالاتٍ مشهوراً في التاريخ الإنجليزيّ، كما كان أيضاً محرّراً صُحفيّاً Journalist، ومعجميّاً Lexicographer بارزاً؛ وخطيباً مفوّهاً Conversationalist
(The New Encyclopedia Britannica=الموسوعة البريطانية ، 2007).

وعلى الرّغم من ظهور (قاموس جونسون) في القرن (الثامن عشر الميلاديّ) فإنّ إنتاج القواميس والمعاجم في أوروبا لم يزدهر في القارة الأوروبيّة إلّا في العقد الأخير من القرن العشرين، لتشهد بريطانيا نصيباً وافراً من هذه الصناعة، تلتها في ذلك فرنسا، وألمانيا، بسبب التداول العالمي للُّغة الإنجليزية كلغةٍ ثانيةٍ في أغلب بلدان العالم، وكلغةٍ للتبادل التجاريّ بين أغلب شعوب الأرض، إذ بدأت هذه الصناعة تنمو نموّاً تدريجيّاً منذ منتصف (**القرن الثامن عشر الميلاديّ**)، على الصعيدين الأحاديّ، والثنائيّ.

■ خاتمة البحث:

إنّ الحديث عن صناعة القواميس، والمعاجم حديثٌ طويلٌ، وذو شجونٍ، سواءٌ على الصعيد العربيّ أو الأوروبيّ، إلّا أنّ هذا البحث تم تخصيصه للحديث عن معرفة الفرق الدقيق بين مصطلحي: (القاموس، والمعجم)، سواءٌ في اللُّغة، أو في الاصطلاح؛ أي في الاستعمال الوظيفي لهذين المصطلحين، اللذين لا يزال الناس بالمجتمعين (العربيّ، والأوروبيّ) يمزجون بينهما، ولا يرون فرقاً بينهما، منذ بداية عصر تصنيف هذه الكتب في القرن (الثامن الميلاديّ)، وحتّى تاريخ هذه الدراسة في القرن (الحادي والعشرين)، ويستعملانهما وكأنّهما كلمتان مترادفتان، وهما في الحقيقة على غير ذلك، الأمر الذي أثبتته هذه الدراسة، حينما أعطت صورةً واضحةً للفرق بين المصطلحين، لعلّها تكون إضافةً جديدةً في البحث اللُّغويّ التقابليّ بين اللُّغتين (العربيّة، والإنجليزيّة)، وهو أمرٌ مطلوبٌ في كلتا اللُّغتين، لما له من أهميةٍ لغويّةٍ يكاد يجمع عليها كثيرٌ من اللُّغويّين العرب، وحتّى الإنجليز إذا ما تسنّى لهم أو لبعضهم الاطّلاع على هذه الورقة.

لقد قام هذا البحث بتقديم شرحٍ موجزٍ غير مُخلٍّ عن ريادة العمل (القاموسيّ، والمعجميّ)، في المجتمعين (العربيّ، والأوروبيّ)، ناهيك عن تقديمه لمحةً سريعةً عن تأريخ سلسلة أهم (القواميس، والمعاجم) العربيّة، والإنجليزيّة التي تناولت جمع مفردات اللُّغة في كتابٍ واحدٍ في كلتا اللُّغتين، وتلاحقها منذ القديم وحتّى الحديث، واختلافها، وتنوعها بحسب ما أوتي كلُّ مؤلِّفٍ من مؤلِّفيها من فكرٍ، وثقافةٍ، ومعرفةٍ بلغة قومه، وأشعارهم، وأخبارهم، وحرفهم، وفنونهم، وصنائعهم، وما إلى ذلك، ليصل إلى النتائج الآتية:

- ✓ **النتيجة الأولى**: كلُّ كتابٍ صُنِّفَ قديماً أو حديثاً وفقاً لحروف المعجم فهو: إمّا (قاموسٌ)، وإمّا (معجمٌ)، يضاف إليهما ما يُعرف في العصر الحديث (بالموسوعات)، و(دوائر المعارف) المختلفة، والتي تمّ تصنيفها هي الأخرى على غرار التصنيف على حروف المعجم (ألف باء اللُّغة)، إلّا أنّها تهتم بأشياءٍ أخرى ليست من اهتمام القواميس أو المعاجم، مثل: أسماء الأعلام، والمدن، والبلدان، كما تأتي على ذكر الآلات، والصناعات، وكلّ ما تمّ استحداثه في العصر الحديث.
- ✓ **النتيجة الثانية**: لم يطلق اللُّغويّون العرب القدامى من أصحاب هذه المصنفات لفظ (قاموسٍ) على مصنفاتهم، من أوّل ظهورٍ لها في القرن (الثامن الميلاديّ)، وحتّى ظهر أوّل استعمالٍ لهذا المصطلح في القرن (الخامس عشر الميلاديّ)، ليدلَّ على جمع جميع مفردات اللُّغة في كتابٍ واحدٍ، وذلك على يد الشيخ: محمّد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت 817هـ/1415م)، الذي قام بتسمية كتابه: (القاموس المحيط)؛ بمعنى: (البحر المحيط)، ليعبّرَ بذلك عن عمق تبحُّرِه، ومدى إحاطته الواسعة بشرح ما أمكنه شرحه، وجمع ما أمكنه جمعه من مفردات اللُّغة في ذلك الوقت، أمّا مصطلح (المعجم) فقد ظهر لأوّل

مرّةٍ على يد أهل الحديث الشريف، بدايةً من القرن (التاسع الميلادي)، وكان أوّل مستخدمٍ له كما نُقِلَ عنه: الإمام البخاريّ (ت869م ـ رحمه الله تعالى)، ولم يكن للُّغويّين العرب يدٌ في ذلك.

✓ **النتيجة الثالثة:**

- **القواميس،** جميعها مصادر تشتمل على جميع مفردات اللُّغة الواحدة، وألفاظها، أو المترجمة عنها إلى لُغةٍ أجنبيّةٍ، مصحوبةٍ بشرح معانيها، واشتقاقها، وتصريفها، وطرق نطقها، ودلالة ألفاظها، وشواهد تُبيّن استخداماتها اللُّغويّة، سواءٌ تَمَّ ترتيب موادها وفقاً لحروف المعجم، أو اتّبع مصنّفوها طرائق أخرى في ترتيبها.
- **أمّا المعاجمُ،** فهي: كلُّ عملٍ كتابيٍّ حوى مجموعةً معيّنةً فقط من المعارف الأساسيّة في أحد موضوعات المعرفة الإنسانية، مثل كتاب: (الفهرست)، لابن النديم، أو كتاب: (معجم البلدان)، لياقوت الحمويّ، أو كتاب: (معجم الشعراء)، للمرزبانيّ، أو كتاب: (معجم المؤلّفين) الذي قام بتصنيفه حديثاً السيّد، عمر رضا كحّالة، وغيرها.

ولأنّ هذه المصنّفات كثيرةٌ في عددها، وفي استعمالاتها صرف المشتغلون بها كثيراً من الوقت، والجهد في عصرهم، فمنحوها معنى (البحر، والمحيط، والعُباب)، وكأنهم قاموا بالغوص في أعماقها لاستخراج لآلئها.

يُضاف إلى ذلك ما يُعرف بالموسوعة Encyclopedia؛ وهي عملٌ يحتوي على أكبر قدرٍ ممكنٍ من المعلومات العامة في مختلف موضوعات المعرفة الإنسانية، أو المتخصصة في موضوعٍ معيّنٍ، مثل: أسماء الأعلام، والمدن، والبلدان، مع ما تذكر من آلاتٍ، وصناعاتٍ، وكلّ ما تمّ استحداثه في العصر الحديث، ويَغلب على معلوماتها الاختصار.

كما تعتمد الموسوعات على دقة التنظيم بحسب الترتيب الهجائي ليسهُل على المستفيد الرجوع إليها بأقلّ جهدٍ، وتعتمد الموسوعات الجَيدة على عددٍ من الكُتاب (المحرّرين)، كلٌ يكتب في مجال اختصاصه، كما عليه الحال في الموسوعة البريطانية، وتختصُّ بعض الموسوعات في نواحٍ مختلفةٍ من المعرفة الإنسانية؛ مثل الموسوعة الجغرافيّة، أو موسوعة تأريخ\ تاريخ مصر القديم، أو الموسوعة الفلكية، وغيرها.

✓ **النتيجة الرابعة:** لم يكن في إنجلترا أيُّ قاعدةٍ نظريةٍ لممارسة صناعة القواميس والمعاجم على الصعيدين: (الأحاديّ، أو الثنائيّ) قبل عام (1750م).

كما إنّ إنتاج القواميس والمعاجم في أوروبا لم يزدهر في القارة الأوروبيّة العجوز إلّا في العقد الأخير من القرن (العشرين)، حيث شهدت بريطانيا نصيباً وافراً من هذه الصناعة، تلتها في ذلك فرنسا، وألمانيا،

بسبب التداول العالمي للُّغة الإنجليزية كلغةٍ ثانيةٍ في أغلب بلدان العالم، وكلغةٍ للتبادل التجاريّ بين أغلب شعوب الأرض.

إذ بدأت هذه الصناعة تنمو نموّاً تدريجيّاً منذ منتصف (القرن الثامن عشر الميلاديّ)، على الصعيدين الأحاديّ، والثنائيّ. نظراً لسعة هذه الكتب، واشتمالها على جميع مفردات اللُّغة.

قائمة المصادر والمراجع

ابن الأثير، مجد الدين المبارك بن محمد. *النهاية في غريب الحديث والأثر*، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، القاهرة: المكتبة الإسلامية.

ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (2004م). *لسان العرب*، ط: الثالثة، بيروت: دار صادر.

أبو الفرج، محمد أحمد (1966). *المعاجم اللُّغويّة في ضوء دراسات علم اللُّغة الحديث*، بيروت: دار النهضة العربية.

البدوي، أحمد محمد (1989م). علامات على خارطة النقد الأدبيّ، *منشورات جامعة قاريونس*، ط: الأولى.

البعلبكيّ، روحي (2005م). *قاموس المورد – عربيّ/ إنجليزيّ*، ط: التاسعة عشرة، بيروت: دار العلم للملايين.

التونجي، محمد & الأسمر، راجي (2001م). *المعجم المفصّل في علوم اللُّغة*، ط: الأولى، بيروت: دار الكتب العلميّة.

الجوهريّ، إسماعيل بن حمّاد (1990م). *الصحاح*، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطّار، دار العلم للملايين، ط: الرابعة.

الحموي، ياقوت بن عبدالله (2011م). *معجم البلدان*، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، ط: الثانية، بيروت: دار الكتب العلمية.

الدقاق، عمر. *مصادر التراث العربيّ*، طبعة خاصة بالمؤلّف، دمشق– سوريا: مكتبة دار الشروق.

الزركلي، خير الدين. *كتاب الأعلام*، بيروت – لبنان دار العلم للملايين.

الشدياق، أحمد فارس (1299هـ). *الجاسوس على القاموس*، ط: خاصة، القسطنطينية: دار النوادر.

الطبريّ، محمد بن جرير ت 310هـ (2008م). *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*، تحقيق أحمد عبد الرزاق البكري، وآخرون، ط: الثالثة، القاهرة: منشورات دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة.

الفرّاء، يحيى بن زياد. *معاني القرآن*، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، محمد علي النجار، دار السرور.

الفراهيديّ، الخليل بن أحمد (2001). *كتاب العين*، ط: الأولى، بيروت: دار إحياء التراث العربيّ.

الفيروزآباديّ، محمد بن يعقوب (2005). *القاموس المحيط*، تحقيق: مكتب تحقيق التراث، ط: 8، مؤسّسة الرسالة.

القرطبيّ، محمد بن أحمد الأنصاري (2008م). *الجامع لأحكام القرآن*، تحقيق: مجدي محمد سرور، ط: الأولى، القاهرة: دار البيان العربيّ.

القماطيّ، أحمد محمد (1984م). نشأة المعاجم العربيّة، *مجلة الناشر العربيّ*، العدد: 2، فبراير.

الياس، الياس أنطون. *قاموس الياس العصريّ – عربي/ إنجليزي*، ط: الثانية، القاهرة: دار الياس العصرية.

خلف الله، نجم الدين (2021م). *رينهارت دوزي في تكملة المعاجم العربيّة*، مقال إلكتروني بموقع (العربي الجديد).

عطّار، أحمد عبد الغفور (1984م). *مقدمة الصحاح للجوهريّ*، ط: الثالثة، دار العلم للملايين.

فيرستيج ك. (2007م). *أعلام الفكر اللُّغويّ*، ترجمة: أحمد شاكر الكلابيّ، ط: الأولى، دار الكتاب الجديد.

كاوي، أ. ب.= A. P. Cowie (1421هـ). *الموسوعة اللغوية*. تحرير: البروفسور. ن. ي. كولنج، ترجمة: د. عبد الله الحميدان، د. محي الدين حميدي، الرياض: منشورات جامعة الملك سعود.

مزبان، عليّ حسن (2002م). *المعاجم العربية*، ط: الأولى، الزاوية: دار شموع الثقافة.

مكتب الدراسات والبحوث (2011م). *القاموس المزدوج: ع/ إ، A/E*، ط: الرابعة، بيروت: دار الكتب العلميّة.

Longman Group. (1995). *Longman Dictionary of Contemporary English.* Longman Group Ltd.

The New Encyclopedia Britannica= الموسوعة البريطانية(2007). (15 ed.).